الحرب الناعمة

الأخطار والمعالجات

إعداد
يحيى قاسم أبو عوّاضة

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

www.d-althagafhalqurania.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارض اللهم برضاك عن أصحابه الراشدين وسائر عبادك الصالحين.

يقول السيد عبد الملك حفظه الله:

الحرب الناعمة وخطورتها

(الحرب الناعمة) هي أكثر خطورة من الحرب العسكرية، فالحرب الناعمة تفسد النفوس، وتقضي على القيم، وتدمر الأخلاق، وتضرب الناس في إيمانهم، وهذا أخطر بكثير من إصابة الجسم بالقنابل والصواريخ، أو اختراقه بالرصاص. ومن الواضح أن من أخطر الوسائل المدمرة: الاستخدام بلا مسؤولية ولا ضمير ولا أخلاق للأجهزة المحمولة (الجوالات)

والتراسل أو التواصل عبرها بهدف الوصول إلى الفساد أو بما يسبب الفساد، وكذلك مواقع التواصل الاجتماعي والشبكة العنكبوتية.

ومن الأسباب أيضاً الاختلاط بين الرجال والنساء الذي بدأ ينتشر كظاهرة سلبية وخطيرة، وكذلك التبرج لدى بعض النساء.

وفي المقابل هناك ضعف وأحياناً انعدام للعمل التوعوي والاجراءات المساعدة على التزام التقوى، والحذر من التورط في الفساد والعياذ بالله؛ ولذلك فمن الواجب أن يكون التذكير في هذه المسألة ضمن المواضيع الأساسية في كافة الأنشطة الثقافية والتربوية والإعلامية والاجتماعية بحيث لا تخلو من التركيز على هذه المواضيع، وبمضامين مفيدة ومؤثرة وراقية ومتنوعة لمساعدة المجتمع على الحصانة الإيمانية في مواجهة حرب قائدها الأول هو الشيطان الرجيم.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ

أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾(الأعراف٢٦) ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾(الأعراف٢٧) وأدواته اليهود وعملائهم الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(المائدة٦٤).

وإلى جانب النشاط التوعوي من المهم تعزيزه بالإجراءات المساعدة على الالتزام مثل الوسائل الرقابية وغيرها بالطرق الصحيحة، والاهتمام بالموضوع بدءاً من الأسرة ومروراً بالمجتمع ووصولاً إلى الجهات المسؤولة وبكل الوسائل المشروعة، كل هذا سيساعد على الحد من انتشار الفساد.

وواجب أن يكون هناك - أيضاً - اهتمام من العلماء

في المساجد في خطب الجمعة وغيرها، والعناية بالضوابط الشرعية في المعاملة بين الرجال والنساء، وأن يلحظ الجميع الالتزام بها في كافة مجالات العمل لأنها تساعد على الحفاظ حدود الله تعالى. [من مقال للسيد عبد الملك في النشرة العدد ٢٨]

من ابتكر كل هذه الوسائل هم أعداؤنا لأهداف خبيثة

ويقول السيد عبد الملك حفظه الله:

من المعلوم المتيقن أن ابتكار مواقع التواصل الاجتماعي هو اختراع أمريكي، ومنشأ أمريكي بهدف استخباراتي، وهناك كتب ومقالات وأقوال ونصوص وأدلة تثبت أنها لهدف استخباراتي، لدى الأمريكي هدف واسع لا يقتصر على الجانب العسكري فقط بل هو استهداف شامل لكل شيء: استهداف للأخلاق وللوعي ولكل عوامل القوة والصلاح وكل ما من شأنه أن يبني الأمة وأن يصنع لديها عوامل المنعة في مواجهة

العـدوان، فهم يعملون من خلالها على صناعة توجهات تلهـي النـاس عـن قضاياهـم الحقيقيـة ومسـئولياتهم الكبيرة.

نحـن أمـة قرآنيـة ومسـيرة قرآنيـة ومواقفنـا وأعمالنا وأقوالنا وتصرفاتنا ينبغي أن تكون موزونة بميزان القرآن الكريـم وأن لا ننجـر لمـن حذرنـا الله منهم وقـال عنهم: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾.

أمريكا تستهدف هذا الشعب في أخلاقه وشرفه وعفته وطهارته

يقول السيد عبد الملك حفظه الله:

اليوم هناك حرب كبيرة، ومنظمة، وتشتغل عبر مواقع التواصـل الاجتماعي، وتشـتغل أيضًا فـي المناطق والمدن عبر شبكات للإفسـاد المنظم، شبكات منظمة تسعى إلى إسـقاط الشـباب والشـابات في الدعـارة والرذيلة وإلى الإفسـاد الأخلاقـي، هناك شـغل كبير جـدًا، ولوحظ أنه يـزداد، كلما ازدادت المعركة العسـكرية يـزداد إلى جانبها

هذا العمل، هذا الغزو، غزو يستهدفنا في أخلاقنا.

الشعب اليمني - والله - هو من أشرف الشعوب ومن أكثرها طهارة وقدسية، ومن أكثر الشعوب عفة ونبلًا وشرفًا ومحافظة، رجاله ونساؤه، حتى تقاليده، حتى أعرافه هي تحافظ على العفة، تحافظ على الطهارة، تحافظ على الشرف، تحافظ على المرأة وتصونها من الدنس، وتحافظ على الشاب والرجل وتصونه من الدنس.

شعب غيور، شعب عفيف، شعب له أخلاق متميزة، ومحافظة واضحة في هذا الاتجاه، لكن اليوم عبر وسائل التواصل الاجتماعي، عبر وسائل الإعلام المتنوعة أيضًا، عبر بعض المعاهد التي تدرِّس اللغات، معاهد أجنبية في صنعاء، وفي بعض المدن لتعليم اللغات الأجنبية، وتلعب دورًا آخر.

يبقى نشاطها في تعليم اللغات نشاطاً ثانويًا وغطاء لطبيعة نشاطها الحقيقي والرئيسي الذي تركز عليه،

داخل هذه المعاهد يبدؤون ببرامج تساعد على الاختلاط الفوضوي، وتعزيز الروابط خارج إطار الضوابط الشرعية، ثم تزداد هذه الضوابط، ثم يدخلون إلى المسخ تحت العنوان الحضاري، والتغرير بشبابنا وشاباتنا، وتقديم النموذج الغربي المنفلت الذي لا تحكمه الضوابط، ولا الأخلاق.

وأساليب كثيرة يشتغلون عليها، وكانوا يشتغلون عليها، السفارة الأميركية فيما سبق ومضى كان لها في صنعاء شبكات ترعاها هي وترعى نشاطها، وبعلم وسمع وبصر الأجهزة الرسمية، كانت تعرف آنذاك وكان هذا النشاط مكثفاً للإفساد الأخلاقي.

شبكات تشتغل شغلاً فظيعاً في هذا الاتجاه لماذا؟ لأنهم يعرفون أن من أوقعوه في الرذيلة ودنسوه وفرغوه من قيمه الأخلاقية، وأصبح إنسانًا تافهًا تائهًا ضائعًا، لا قيم له، لا أخلاق له، لا شرف له، لا حمية له، سيتجه في هذه الحياة على النحو الذي يريدونه، فيستعبدونه بكل بساطة بكل سهولة.

لـن يبقى عنده أي اهتـمام في أن يكون حـرًا، وفي أن يكـون بلده حـرًا، لن يبقـى لديه أي اهتمام بشـأن الناس، ولا بمعاناتهـم، ولـن يبقى له أي اهتمام فـي مواجهة هذه التحديات والأخطار، سـيكون إنسـاناً تفـرغ من حميته، مـن شـرفه، من عزتـه، مـن كرامته، مـن إنسـانيته، يصبح إنسانًا تائهًا، كل اهتمامه في الميوعة والضياع والرذيلة، كل اهتماماته تنصب في هذا الاتجاه.

لـن يبقى له اهتـمام بقضاياه المهمـة، بقضاياه المصيرية بشـئون بلده الكبيرة والمصيرية، لا، سـيتحول إلى إنسان تافـه، مفرغ من كل إحسـاس بالعـزة والكرامة، ومن كل اهتمام، ومن كل إحسـاس بالمسـؤولية، سيتفرغ من ذلك، ويكـون فـي ليلـه ونهـاره ضائعًـا وراء تلـك التفاهـات والرذائل، والعياذ بالله، حينها يضربونه بكل بساطة.

أي: ليس همهم بهذا الغزو بهذا الإفساد الممول بأكثر قنواته ووسـائله من السـعودي والإماراتـي، ليس همهم إمتاع شـبابنا وشـاباتنا حتى يرتاحوا، ويتنعموا ويكيفوا، لا، ليـس همهـم مـن أجـل راحة وقـرة عين النـاس، لا،

الإفساد وسيلة من وسائل الاستعباد، الإفساد والتفريغ من القيم والمبادئ وسيلة خطيرة جدًا من وسائل السيطرة والتحكم، ومن وسائل الهوان.

الإنسان الذي يصبح ضائعا مائعًا ساقطًا في الرذيلة هذا إنسان فعلًا لن يهمه أن يكون عزيزاً في هذه الحياة، ولا حراً ولا شريفاً، ولا أن يكون في هذه الحياة مستقلاً، أو يكون بلده مستقلا، ولن يبالي بأي شيء.

طرق للوقاية من أخطار هذه الحرب

أولاً: الإيمان بالله واليوم الآخر

كلما ازداد إيمانك بالله كلما ازداد خوفك من الله ومحبتك لله سبحانه وتعالى واستشعارك لعظمة الله وحياؤك من الله.

هذه النتائج الإيمانية وهذه الثمرة الإيمانية: الخوف من الله والمحبة لله والحياء من الله كلها عوامل تساعد على الطاعة لله والاستقامة على منهج الله والحذر من معصيته، مسألة مهمة جداً.

الإيمان باليوم الآخر مسألة في غاية الأهمية، إيمانك بالجنة والنار والحساب والجزاء، وإيمانك بالجزاء بشكل عام: أن كل معصية عليها جزاء وستدفع ثمنها في الدنيا والآخرة.

أبونا آدم دفع فوراً ثمن عصيانه ومخالفته، أكل من تلك الشجرة وبسرعة شقي وأُخرج من الجنة وعانى، إيمانك ويقينك بالجزاء على المعصية هذا يساعدك على الالتزام، ما دمت ستدفع الثمن - ثمناً خطيراً وكبيراً - فهذا سيساعدك على الالتزام.

ثانياً: الاستعاذة بالله تعالى من همزات كل الشياطين ووساوسهم وتأثيراتهم

الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم، ومن كل الشياطين: همزات الشياطين ووساوسهم وتأثيراتهم هذه مسألة مهمة الله علمنا إياها في القرآن الكريم، وأكّد عليها كثيراً في القرآن الكريم، وسواء في الحالات والظروف التي يحس الإنسان فيها أنه عرضة للتأثير -

وأن هناك عملاً عليه للتأثير عليه - في حالات الإغراء، أو حالة الغضب، أو الحالات والمقامات التي تُستغل في التأثير على الإنسان: مقامات الإغراء النفسي، إغراء الشهوة، مقامات يمكن أن يكون هناك عمل لشياطين الجن أو شياطين الإنس لإغوائك؛ فلتبادر إلى الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى.

قال في كتابه الكريم في آية مهمة جداً ينبهنا على ذلك: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٠٠- سورة الأعراف) وإما ينزغنك من الشيطان نزغ سواء كان هذا في مقام الغضب فسيحاول أن يرفع من وتيرة غضبك ويدفعك للتجاوز في حالة الغضب تلك، أو في حالة الشهوة والرغبة النفسية والهوى النفسي والميول النفسية يحاول أن يسعِّر فيك هذه الرغبات ويزيد من وطأتها عليك لتتجاوز إلى الحرام.

أو في حالات أخرى: حالات الرضى النفسي، وحالات المخاوف، أيضاً كل الحالات التي يدخل من خلالها الشيطان فاستعذ بالله ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ

الشَّــيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. أيضاً في آيـة أخرى يقـول الله تعالى فيهـا: ﴿وَقُـلْ رَبِّ أَعُوذُ بِـكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّــيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨)﴾ (سورة المؤمنون).

ويهمنـا هنـا أن نوضـح معنى الاسـتعاذة، مـا معنى: أعوذ بالله من الشـيطان الرجيم؟ ما معنى (أعوذ بك رب من همزات الشياطين). أعوذ يعني: ألتجئ إليك معتصماً ومحتمياً بحمايتك وممتنعاً بك يا رب.

الاسـتعاذة هي: التجاءٌ للاحتماء، أنت تلتجئ إلى الله ليحميـك بحمايتـه، ليدفع عنـك، التجاء المعتصـم اللائذ المسـتجير الذي يفر إلى الله ليدفع عنه هذا الخطر، ليدفع عنه هذا السـوء، ليدفع عنه هذا الشـر؛ فلذلـك كن واعياً بما تعنيه الاسـتعاذة، ما يعنيه هـذا التعبير، لتُعبر من أعماق نفسـك من أعماق قلبك (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) يعني: ألتجئ إلى الله فاراً إليه محتمياً به ومحتمياً بحمايته، ممتنعاً به، ومسـتجيراً به ليحميني، ليدفع عني الشـيطان،

وتأثير الشيطان، ووساوس الشياطين من الجن ومن الإنس. فهذا معنى الاستعاذة، وهذه مسألة مهمة جداً.

الله سبحانه وتعالى في سورة من أهم السور في القرآن وهي من هدايا الله لنا في كتابه الكريم ومن نعمه علينا [سورة الناس] ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ هذه السورة فيها التجاء قوي إلى الله، التجاء كبير، التجاء بتضرع ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ هذا التجاء بتضرع إلى الله سبحانه وتعالى من موقع ربوبيته وألوهيته وملكه، أنت يا رب، وأنت الرب وأنت الإله وأنت الملك ألتجئ إليك، أفر إليك، أحتمي بك من شر الوسواس الخناس الذي يزرع في صدري حالة الانحراف إلى ما هو عصيان لك.

ولاحظوا هذه السورة من أهم السور التي تصنع عندنا وعياً؛ لأنها تعلمنا مسألتين مهمتين جداً: المسألة الأولى: هي الالتجاء إلى الله والاعتصام به ليحمينا من

شر هذا الغزو الذي يغزو صدورنا، هذا التأثير الذي يصل إلى أنفسنا فينحرف بنا نحو المعصية أو الضلال أو الإغواء، وهذه مسألة مهمة في الالتجاء إلى الله في ذلك لنأخذ حذرنا.

أيضاً لأنه يعلمنا أن هناك مصدرين لهذا الوسواس؛ لأنه علمنا أن نقول: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ أين هو هذا الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس، يغزوهم إلى قلوبهم يغزو مشاعرهم، يصنع في قلوبهم التوجهات والميول والدوافع الشيطانية؟ الله يقول: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ لاحظوا يا إخوة ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ هناك موسوسون من الناس وليس فقط من الجِنّة ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ هناك مصادر خطيرة للوسوسة من الناس أنفسهم، هناك موسوسون كثر ولا سيما في زمننا هذا.

اليوم امتلك الموسوسون في صدور الناس مالم يكن موجوداً لدى شياطين الإنس والجن في كل ما مضى من التاريخ ربما.

اليوم البشرية أكثر حاجة وأمس حاجة على الوعي بخطورة هذه المسألة. خطورة الموسوسين، والمعرفة بالموسوسين في الاجتناب لهم والحذر منهم. ليس أن تقول: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ ثم أنت الذي يبقى متطلعاً إليهم، مصغياً لهم، مستمعاً لهم في ليلك ونهارك.

اليوم ـ يا أيها الإخوة، ويا أيتها الأخوات ـ واللهِ ينطبق على كثير من وسائل الإعلام، ينطبق عليها هذا التوصيف القرآني، وسائل إعلام موسوسة في صدور الناس من الناس ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ اليوم بالتأكيد ليس هناك قنوات إعلامية من الجن، لكن من الناس، هو هنا حذرنا من الجِنة والناس، اسمعوا وعُوا ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

اليوم الموسوسون في صدور الناس يمتلكون قنوات إعلامية ما كان منها مخصصاً للتضليل السياسي والإعلامي والفكري والثقافي، وما كان منها مخصصاً للإغواء ونشر المفاسد الأخلاقية. اليوم لم تعانِ البشرية في كل ما قد مضى من تاريخها مثل ما تعاني اليوم من

النشــاط الهائل لنشــر المفاســد الأخلاقية. قنوات تنشر – هذه القنوات – مشــاهد خليعة لنشــر المفاســد الأخلاقية وتدميــر القيــم الأخلاقية، العــري والجرائم تنشــر اليوم فــي قنوات كثيرة جــداً. يجب الحذر من مشــاهدة هكذا قنوات، أو أي وسائل أخرى في الإنترنت.

الإنترنــت اليوم فيه الكثير والكثير من الوســائل، من المواقــع والصفحات المخصصة أو التي لها هذا النشــاط: تنشــر مفاســد أخلاقية، وتغــوي في الجانــب الأخلاقي، فتدنس النفوس وتنشر المفاسد والزنا والجرائم الأخلاقية إلى مناطق كثيرة من العالم.

الــى أشــخاص كثيريــن كانــوا قبــل أن يتورطــوا وأن يصغوا وأن يرتبطوا بوســائل إعلامية من هذا النوع كانوا نزيهين، كانوا شــريفين، كانوا طاهريــن، كانوا محافظين علــى أنفســهم مــن الدنــس، ومحافظين علــى أعراضهم وشــرفهم من الدنس، ولكن كان الذي جرهم إلى فســاد أخلاقي هو متابعة قنوات فضائية نشــرت مشــاهد مغرية فاسدة مفسدة، أو في مواقع على الإنترنت.

الشباب اليوم والشابات يجب أن يكونوا حذرين جداً منها، أن يحموا أنفسهم منها من البداية، لا تذهب لتدخل إلى موقع في الانترنت فتتطلع إليه فيوسوس في صدرك فيغويك ويضرب فيك القيمة المعنوية الأخلاقية، وزكاء النفس، شرف النفس، طهارة النفس، فيغويك.

ومع هذا نشاط كبير للتواصل والتعارف وبشكل أعمى وبشكل غير منضبط، ينشط – مثلاً – في مواقع التواصل الاجتماعي ينشط الكثير من الشياطين الذين لهم هذا العمل وهذا الشغل الذي يعمل على الإيقاع بالآخرين إما شيطان يحاول أن يوقع بالكثير من الفتيات – يوقعهم – في الفساد الأخلاقي، أو شيطانة توقع بالكثير من الشباب في الفساد الأخلاقي فتبدأ بالمراسلة التي فيها المراودة والوسوسة والتزيين للمعصية والإغراء بالمعصية حتى الإيقاع في المعصية.

هذه اليوم واحدة من أفظع الآفات المنتشرة والخطيرة جداً على الشباب والشابات وعلى الرجال والنساء

جميعاً، ويجب الحذر منها بشكل كبير، والاحتماء منها، والحذر منذ البداية منها.

فالذي يوسوس في صدور الناس من الجِنة والناس اليوم يمتلك الوسائل التي تساعده على ذلك بأكثر من ما قد مضى في تاريخ البشرية.

أيضاً الاستقطاب: اليوم هناك نشاط - مثلاً - للجانب التكفيري للاستقطاب والإغواء من خلال وسائل الإعلام والوسوسة في صدور الناس، الوسوسة تحت عناوين دينية، بالتأكيد أهم شيء عند الشيطان أن يغويك تحت عنوان ديني أو غير ديني حتى لدرجة أن تذهب لتنفجر بنفسك في مسجد أو في سوق أو في مدرسة أو في مستشفى أو بين أي تجمع بشري، وأنت تعتبر نفسك أنك تتقرب إلى الله بذلك وتظن أن الحور العين بانتظارك في أقرب لحظة، فور أن تنفجر هنّ في حالة استقبال.

الشيطان يهمه أن يغويك والذي يوسوس في

صـدور النـاس اليـوم يمتلـك وسـائل إعـلام متنوعـة: يمتلـك الصحيفـة، يمتلـك الكتـاب، يتحـرك بالقلـم، يتحـرك بالمذياع، يتحرك بالقنوات الإعلامية، يتحرك في الانترنت، يتحرك في مواقع التواصل الاجتماعي.

فـإذًا الله سـبحانه وتعالـىٰ في [سـورة النـاس] وهي مـن أهـم السـور التي يجـب أن نسـتفيد منهـا وأن نعيها وأن ننتفـع بها لأنهـا يا إخوتي، كما قلـت وكررت علّمتنا مسألتين مهمتين:

أولاهـما: الالتجـاء إلـىٰ الله، والتجاء بتضـرع ووعي وإدراك لخطورة هذه المسـالة ﴿قُـلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ التجئ إليك وأنت ربي ورب كل الناس، وأنت إلهي وإله كل الناس، وأنت الملك ملك الناس جميعاً التجئ إليك بربوبيتك بملكك بألوهيتك أن تحمينـي، أن تحمي صـدري، أن تحمي قلبي، أن تحمي نفسي من كل التأثيرات الشيطانية، سواءً كانت من خلال جنٍّ أو إنس، وبكل وسائلهم وأساليبهم وعناوينهم.

ثانيـاً: عمليـاً لا تجلس لتتطلـع إلى قنـاة فضائية فيها مضـل أو مغوي، مـن يضلك ثقافياً أو سياسـياً أو كذلك أخلاقيـا تبقى متطلعاً إليه تعطيه سـمعك وبصرك وتفتح لـه قلبك، ثم أنت تعتبر نفسـك أنك لـن تتأثر! ما يدريك أنك لن تتأثر؟! قد تتأثر، شُـبه على المستوى السياسي قد تؤثر عليك وخصوصاً أن الكثير ينقصهم الوعي إلى حد كبير جداً، أو شـبه على المستوى الديني وتحت العناوين الدينيـة قـد تؤثـر عليـك فتتحول إلـى داعشـي تكفيري متزمـت متعنت متحجر غبي صمٌ بكـمٌ عميٌ، تصبح آلة شيطانية بطريقة أخرى.

أو قـد تخسـر زكاء نفسـك، طهارة نفسـك، وتفسـد وتخسر شرفك، عرضك، حصانتك، منعتك الأخلاقية، تتحول إلى إنسـان مائع تافه حقير متدنس، تدنس شرفك وأخلاقك، تتورط في الرذائل والمفاسد الأخلاقية، أو قد تُنمي عندك حالة الطمع المادي.

والإفسـاد المادي هو اليوم من أخطر وسائل الإفساد، الكثيـر اليـوم رخيصـون يبيعـون ذممهـم، يبيـع ولاءه،

يُشـترى بالمال ليتولى طرفاً شيطانياً أو ليقف موقفاً باطلاً أو لينحاز في صف الباطل فيقاتل في صف الباطل.

فالاسـتعاذة بوعي بالله سـبحانه وتعالى من الشيطان الرجيم، من همزات الشـياطين، كل شـغلهم الذي يعمد إلـى التأثيـر على نفسـيتك وتوجهاتك بالإغـراء أو حين الغضـب أو حين المخاوف، أو في لحظـة من اللحظات، حتـى المخاوف هـي واحدة من الوسـائل التـي يحركها: يرجـف عليك، يخيفك، يجعلك تتنصل عن المسـؤولية، أو لا تثبـت فـي موقـف حـق، أو... إلى آخـره، أو تخنع لباطل وتخضع لطاغية أو مجرم.

فالاسـتعاذة هي مسـألة مهمة علمنا إياها الله سبحانه وتعالى، ويجب أن نستفيد منها وبوعي.

ثالثاً: الوعي بخطورة الشيطان والاستحضار لذلك في الذهن في كل الأحوال المهمة

أي: تنبّـه علـى أن هنـاك عـدو يعمل علـى إغوائك، ولديه أنصار شياطين من الجن والإنس لا تغفل عن هذه المسألة، وفي كل الحالات التي تستدعي ذلك.

إذا أنـت فـي حالـة غضب فتذكـر أن هناك الشـيطان وسيحاول أن يسـتغل هذه الحالة؛ فكن متنبهاً لا يغويك أثناء غضبك، إذا أنت اسـتثارت في نفسك وتحركت في نفسـك الرغبات سـواء رغبات الطعام، أي شهوة ورغبة تحركت فيك: الشـهوة الجنسـية إلى غير ذلـك تذّكر أن هنـاك عدواً سيسـعى إلـى إغوائك فتنبه وخـذ احتياطك وانتباهك.

وهكـذا أي لحظـة مـن اللحظـات التـي قـد يدخـل فيها الشـيطان على الخط، شيطان من شـياطين الجن أو شـيطان من شياطين الإنس، تنبّه واحذر؛ ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّـيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ الذين اتقوا قد يسـتهدفهم الشـيطان في مثل هـذه الحـالات: عند حالة غضـب، عنـد الحالة التـي تتحرك فيهـا الغريـزة: غريزة النفـس، رغبة جنسـية، رغبة طعـام، رغبة شـراب، رغبة راحـة، أي رغبـة مـن الرغبـات فيأتي الشـيطان كـما قلنا ويدخل على الخط ويبدأ يوسوس ويحاول أن يستميل.

الذين اتقوا لا يعيشون حالة الغفلة

الميزة الإيجابية عند الذين اتقوا هي التذكر، لا يعيشون حالة الغفلة الدائمة حتى يتورط في المعصية ثم يتبرأ الشيطان منه ثم ينتبه، لا، يتنبه قبل السقوط، ما قبل الوقوع، أول ما يدخل الشيطان على الخط يوسوس، يزين، تخرج المسألة عن سياقها الطبيعي هذا يتضح لك قد تتحرك فيك رغبة من الرغبات، مثلاً: الرغبة الجنسية أول ما يخرج تفكيرك عن الوضع الطبيعي عن التفكير في زوجتك مثلاً، أو التفكير إذا لم تكن قد تزوجت في أن تتزوج واتجهت خواطرك نحو الحرام؛ خلاص الوضع لم يعد طبيعياً، اعرف هنا بدأ يدخل الشيطان.

احذر من البداية، فإذاً تذّكر.. انتبه.. لا تتجه فتتغرق في التفكير نحو الخطأ، نحو المعصية، نحو الانحراف لا، انتبه وتذكر واضبط وضعك.

ولا تدخل حتى فيما قبل ذلك مثل البعض الذي قد يبدأ ليلبي هذه الرغبة من خلال الدخول في وسائل إعلام

سيئة ومشاهدة مشاهد خليعة أو مغازلات أو رسائل سلبية أو غير ذلك لا.. اقطع طريق الشيطان من بدايتها.

وسنأتي إلى نقطة مهمة أيضاً في هذا الجانب:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ بدأ الشيطان يتدخل أو يدخل على الخط في أي لحظة من لحظاته التي يركز عليها: لحظة غضب، لحظة شهوة، لحظة رغبة، أي لحظة من اللحظات ﴿تَذَكَّرُوا﴾ عرف أن هذا الوضع ليس طبيعياً، عرف أن الشيطان بدأ يدخل على الخط ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ انتبه وأخذ حذره واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم، وصرف نفسه وذهنيته عن ذلك الاتجاه الخاطئ.

﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ إخوان الشياطين جماعتهم قد تأثر بهم ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ يعني يدفعون بهم أكثر، ويجرونهم أكثر، ويغرقونهم أكثر بدون أي تقصير، لا يألون جهداً في ذلك حتى يوقعونهم في العصيان والعياذ بالله.

فالشيطان يدخل على الخط لكن ويوصلهم إلى الأمور السيئة والعياذ بالله، فالانتباه والوعي بالخطورة والاستحضار في الذهن، التذكر عند اللحظات الحساسة.

رابعاً: الحذر من الانجرار وراء خطوات الشيطان

الشيطان عنده استراتيجية مع أبن آدم هي أسلوب الخطوات، يعني: الشيطان مثلاً لو يطرح لك بعض المواضيع منذ اللحظة الأولى هو يعرف أنك لن تقبل ذلك نهائياً ولكن يجرك شيئاً فشيئاً، [خطوة خطوة] أسلوب من أهم الأساليب الشيطانية، استراتيجية الشيطان مع الإنسان هي هذه الخطوات، أسلوب الخطوات: خطوة فخطوة، فقد يأتي يفكر كيف يوصلك مثلا إلى جريمة الفساد الأخلاقي، قد لو طرح عليك المسألة ووسوس لك بها من اللحظة الأولى قد تنفر نفسك، لايزال فيك الإيمان، لايزال فيك الحياء، لاتزال عندك العفة، لايزال عندك الشرف، عندك عوامل تتحصن بها، عندك حواجز

تحتمي بها ولكن يبدأ بتدنيس نفسك شيئاً فشيئاً، مغازلة، مشاهد خليعة، أشياء لها مردودها السلبي في تدنيس نفسك، في ضرب زكاء نفسك، في تحطيم هذه الحواجز، كيف يحطم عندك حاجز الحياء شيئاً فشئياً ويروضك قليلاً قليلاً، كيف يضرب فيك الحمية والغيرة والشرف والمرؤة شيئاً فشئياً خطوة فخطوة.

وهكذا حتى يوصلك إلى المفاسد الأخلاقية، أو الانجرار مع أهل الباطل، علاقات تتنمى هذه العلاقات إلى هدايا إلى إغراءات مادية إلى مكاسب إلى صداقة زائدة إلى تأثير، كلمة تدخل كلمة تخرج حتى تصل إلى الانضمام إلى صفهم، عوامل كثيرة: الإصغاء إلى ضلالهم إلى منابرهم الإعلامية والثقافية شيئاً فشيئاً أشياء معينة هي عبارة عن خطوات الله يقول: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ لا تتبعوا خطوات الشيطان - يتكرر هذا في القرآن الكريم - فإنه يأمر بالسوء والفحشاء ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

فإذًا مادام وأنت عرفت استراتيجية الشيطان فاعرف كيف تحاربه، كيف تواجهه، كيف تحتمي منه، احذر من خطواته، لا تتجه معه ولا تتحرك معه، ولا تنجر معه في الخطوة الأولى؛ لأنك ستنجر بعدها للخطوة الثانية، بعد الخطوة الثانية الخطوة الثالثة حتى يوصلك إلى حيث لم تكن أنت تتوقع أبداً أن تصل، احذر، الله ينبهنا بهذا، يعلمنا بهذا، هو الرحيم بنا ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ وأنت إذا حذِرت منه من الخطوات الأولى ستحتمي فيما عداها من الخطوات وسيبقى الفوا صل والحواجز والسدود كبيرة فيما بينك وبين الوقوع في المهالك، والعياذ بالله.

خامسًا: الأخذ بأسباب الرعاية والتوفيق الإلهي وعوامل الصلاح والزكاء

الأخذ بأسباب الرعاية والتوفيق الإلهي وعوامل الصلاح والزكاء، هذه مسألة مهمة، هناك من الأعمال ما تزيدك صلاحاً وتزيدك طهراً وتزيدك هداية وتزيدك توفيقاً وإقبالاً إلى الله ونفوراً من المعصية، وكرهاً

للفسوق، وكرهاً للعصيان، ومقتاً للرذائل والمفاسد، هذا يعطيك حصانة كبيرة جداً، ومنها:

١ـ الصلاة القيّمة وليس أي صلاة، الصلاة القيّمة، الصلاة التي تشدك إلى الله، الصلاة التي تطهر نفسيتك. ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾.

٢ـ الإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى، هذا مهم جداً.

٣ـ الجهاد في سبيل الله بإخلاص، فإذا لم يكن بإخلاص لن يفيدك ولن ينفعك لو وقفت أي مواقف وعملت أي عمل، وهكذا.

٤ـ الإحسان وما أدراك ما الإحسان.

٥ـ الصدقات التي هي بإخلاص وبدون رياء ولا مقاصد أخرى.

كثير من الأعمال أرشدنا الله إليها هي سبب للمغفرة، سبب لزكاء النفس، سبب لطهارة النفس سبب لأن يحيطك الله بالهداية بالتوفيق وبالتسديد.

٦ـ الاهتمام بقراءة القرآن الكريم بتدبر، بتأمل.

٧ـ مجالس الذكر، والصلاح، والمساجد التي فيها خير، وليس فيها مضلون، أما مساجد الضلال والضِرار فهي خطيرة جداً وخطورتها رهيبة للغاية يجب الحذر منها، وهكذا.

الأخذ بأسباب الرعاية والتوفيق الإلهي وعوامل الصلاح والزكاء وهي مجالات واسعة تشمل كل الأعمال الصالحة وإن كانت تتفاوت في ذلك.

سادسًا: الوعي بأن الله أغنانا عن الحرام

لاحظوا قصة آدم عليه السلام: الله أعطاه جنة كاملة فيها العيش الواسع والرغد الكافي ما يلبي كل احتياجاته: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (١١٩)﴾ (سورة طه) يتوفر له كل المطالب والاحتياجات: من ملابس، ومن طعام، ومن شراب، أحلّ الله لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث، الطيبات كل الطيبات أحلها لنا وحرم علينا الخبائث، فيما أحل ما يغني ويكفي ويلبي حاجتك، أنت كإنسان

صحيح عندك حاجة غريزية، حاجتك الجنسية هي غريزة فيك وتحتاج إلى أن تلبيها لكن بالحلال، تزوج إذا لم تكفك الأولى تزوج بالثانية وحسن علاقتك بزوجتك بما يلبي حاجتك منها هي.

كذلك الزوجة تكتفي بزوجها وفي الحلال ما يغني عن الحرام، ويصون من الحرام بشرف، كذلك في المأكولات، في المشروبات، في الحلال ما يغني عن الحرام، أضف إلى ذلك في كل شئون الحياة، لنعي جيداً أن للحرام والعصيان مغبة فظيعة وثمناً باهظاً لا يستحقه [والله لا يستحقه] لو لم يكن إلا جهنم.

يعني ليس هناك من الحرام ما يستحق أن تضحي فيه ولأجله بعلاقتك بالله وإيمانك وشرفك وطهارتك وصلاحك ونبلك وعدلك وقيمك وإنسانيتك وتضحي بالجنة وتدخل جهنم من أجله.

المعاصي لها ثمن عاجل في الدنيا وثمن آجل في الآخرة، ذكّر نفسك بهذا حتى لا تخسر الخسارة كبيرة

جداً، ومن آخر ما نُذكر به قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ كلما رسخت في نفسك العداء للشيطان والشياطين كلهم، من الجِنة والناس كلما احتميت من تأثيرهم في الإغواء والتضليل وفي سائر ذلك، هذه النقاط والعناصر فيها إن شاء الله ما يفيدنا جميعاً. [من محاضرة السيد عبد الملك في شهر رمضان (إن الشيطان لكم عدو) ١٤٣٨هـ]

سابعاً: استشعار الرقابة الالهية

من أهم ما يساعد على التقوى، والابتعاد عن السقوط في الرذيلة هو مدى استشعار الرقابة الإلهية، وهذا موضوع في غاية الأهمية أعطاه القرآن الكريم مساحة واسعة وتحدث عنه بحديث مؤثر ومتنوع ويرتبط به في تدبير الله سبحانه وتعالى مع هذا الإنسان، وفيما خلق عليه هذا الإنسان، وفيما رتب عليه شئون هذا الإنسان في الدنيا والآخرة، ترتبط به تدابير مهمة وإجراءات مهمة من جانب الله سبحانه وتعالى.

من أهم ما يجب أن تعيه كإنسان أنك في هذه الحياة لست وحدك

من أهم ما يجب أن تعيه كإنسان أنك في هذه الحياة لست وحدك، ولا يجوز لك، ولا ينبغي لك أبداً أن تنطلق في ميدان الحياة، وفي واقع الحياة غافلاً عن أهم مسألة: عن مصدر وجودك من أين؟ وعن معادك إلى أين؟ وكأنك وجدت هكذا [فلتة] في هذه الحياة فلم تشعر إلا وأنت موجود في هذا الكون وفي هذا العالم، ثم صرت تتعاطى باعتبارات وحسابات هي في حدود ما أمامك في هذه الحياة، وما تلامسه في هذه الحياة.

البعض منا يحسب حساب واقعه ومحيطه الذي ينعكس عليه في هذه الحياة ويرتبط به في هذه الحياة، إذا هو مثلاً: شخصية اعتبارية ومهمة، وذو طموح ويحرص على قيمته المعنوية فسيكون له انتباه في جميع تصرفاته لكن في حدود أن لا تظهر أمام الآخرين، أن لا يرى الآخرون منه ما يمس بقيمته المعنوية، لماذا؟ لأنه مثلاً إما شخصية سياسية أو وجاهة اجتماعية أو إنسان

حساس على قيمته المعنوية، يعني: إنسان يحرص أن يكون طيب السمعة ومقبولاً لدى الرأي العام ومحترماً لدى الآخرين.

هناك الكثير جداً من البشر. وهذه فطرة، يعني هذا في أصله أمر طبيعي جداً؛ لأنه فطرة فطر الله الإنسان عليها، وإذا وجّه الإنسان هذه الفطرة توجيهاً صحيحاً يستفيد منها بشكل كبير، إذا أدخلها ضمن حسابات أكثر صحة وسلامة من الحسابات غير الدقيقة أو الحسابات المحدودة.

البعض من الناس قد يكون انضباطه في هذه الحياة. والتزامه فيها وتعاطيه المسؤول في هذه الحياة في حدود المخاوف النفسية والأمنية يعني عبد عصا، بعض من الناس عبد عصا سينضبط بقدر ما يخاف. الأشياء التي يتوقع أن يطاله سوط عليها، عقوبات عليها قد تسبب له أن يسجن أو يقتل أو يعاقب أي عقاب معين، أو يطاله بسببها إجراءات ومضايقات في هذه الحياة ومعاناة في هذه الحياة، أو يخسر بسببها من ممتلكاته، فيمثل هذا

زاجراً لـه وعاملاً يدفعه إلـى أن ينضبط بالقـدر الذي لا يعرضه لهذه الإجراءات من الجهات التي يحسب أنه قد يطاله ذلك منها: دولة مثلاً، هو في بلد في دولة أو جهات معينة لها سطوة، لها نفوذ، لها حضـور، يمكن أن تطاله بشـيء، فيبقى في حدود ما يخـاف، وفي حدود ما يتوقع منضبطاً وملتزماً.

الأشـياء التي قد لا تتوقـع ولا تدركها تلك الجهات أو لا تطّلـع عليها، لن يبالي، سـيتصرف بدون أي حرج طالما أنـه إمـا لا يخاف مـن تلك الجهـات شـيئاً نتيجة لأعمالـه، وإمـا أنهـا قـد لا تـدرك أو لا تعـرف بـما فعل وتصـرف، فتتفـاوت حالة الالتزام لـدى الناس في هذه الحياة.

ولست ملك نفسك ووجودك وجود هادف

أنت كإنسـان مسـلم يربيك القرآن الكريم، ويعلمك الله سـبحانه وتعالـى أن تنطلق من منطلقـات أكبر وأكثر أهميـة وأكثـر واقعيـة ولها تأثير عليـك وتأثيـر كبير جداً

عليك، أنت لست في هذه الحياة لوحدك، ولست حتى ملك نفسك، اعرف هذه.

الذي أتى بك إلى هذا الوجود، الذي خلقك وفطرك وأتى بك لهدف، وجودك في هذه الحياة هو وجود هادف، له هدف، له غاية، وله اعتبار هو الله سبحانه وتعالى، أنت عبد لله، أنت ملك لله سبحانه وتعالى.

وهو عندما خلقك وفطرك وأوجدك ووهبك الحياة ووهبك ما وهبك، ومازودك به من إمكانات وقدرات ذاتية كالسمع والبصر والفؤاد والقدرة الجسمية والبدنية والذهنية، والمعنوية، والطاقة، والقدرة على الفعل في حدود ما منحك وأعطاك، وفي حدود ما هيأ وسخر لك ككائن في هذا العالم، كإنسان، ما سخر لك في السموات والأرض من نعم وخيرات وعطايا، ومواهب وقدرات، وإمكانات متنوعة تلبي جوانب كثيرة من حياتك وتغطي كل احتياجاتك الإنسانية.

ثم تستفيد منها وتتقلب فيها وتنتفع بها بأشكال كثيرة جداً جداً من أشكال الانتفاع، وجوانب الانتفاع، الله سبحانه وتعالى هو رقيب عليك، هو حاضر، هو شاهد عليك في هذا العالم، وفي هذا الوجود.

ليست المسألة أنه خلقك وفطرك ككائن متميز في هذا الوجود بين مختلف المخلوقات والأصناف والدواب، ثم أعطاك أنت ميزة فيما بينها أن حمَّلك المسئولية الكبرى في هذا العالم، أن سخر لك السموات والأرض وما في السموات وما في الأرض.

أن أعطاك من القدرة البدنية والذهنية والإمكانات والقدرات الإبداعية ما يخولك القدرة على التصرف في كثير مما خلق في هذا العالم، ثم يتركك في ميدان هذه الحياة لتتصرف كما يحلو لك. وأنت المخلوق الذي لتصرفاته تأثيرات ونتائج وانعكاسات شاملة على مستوى ما في البر والبحر. الله جل شأنه قال في كتابه الكريم: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ أيدي الناس.

فليست المسالة أن الله سيتركك في هذه الحياة تتصرف كما يحلو لك، وتعمل ما ترغب به، لا تبالي بأي شيء وتعمل ما تشاء وتريد، لا.

سخر لك ما في السماوات والأرض

لاحظ مسألتك حساسة - كإنسان - حساسة جداً في إطار التدبير الإلهي وملك الله سبحانه وتعالى، يعني لو أن الله فعل ذلك: يخلقك كإنسان، أعطاك ميزة في هذا العالم، وهبات عجيبة جداً، وقدرات على التصرف في محيطك العالمي فيما في الأرض، وفيما في السموات وما في الأرض، وفيما بين السماء والأرض، ومنحك قدرة واسعة وإمكانات عجيبة، وتسخير واسع ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

هذا التسخير كله، هذه الرعاية الواسعة جداً جداً، هذا التمكين العجيب لك كإنسان، هذه السعة العجيبة في حياتك، وفي شؤون وفي مجالات حياتك، ثم لا يكون من ورائها شيء هادف، ولا ترتبط به مسؤولية،

ولا ترتبط بها ضوابط، ولا إجراءات ولا حساب ولا جزاء؟! لكانت هذه المسألة تمس بالله، تمس به في حكمته، لاعتُبر غير حكيم.

كيف يخلق هذا العالم العجيب الكبير بكل ما فيه من أصناف لا تحصى ولا تعد، ويقدم هذا العالم بكل ما فيه، مسخراً ونافعاً ومفيداً لهذا الكائن (الإنسان) أنت مستفيد من كل ما في هذا العالم، ما في الأرض وهو أصناف كثيرة جداً أصناف عجيبة جداً ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ لهذه الدرجة، لا تقدر أنت كإنسان، الله وحده فقط من يحصي، ومن يقدر على أن يعلم بعديد كل ما يمكن أن تنتفع به، وأن تستفيد منه.

أما أنت كإنسان فأنت لا تحيط، تصوَّر، لا تحيط ولا تحصي مقدار هبات الله لك وعطايا الله لك، ومقدراً كل الأشياء التي فيها منفعة لك في هذا الوجود، وهذا العالم، حتى أن هناك أشياء كثيرة خفية عنك، أنت تستفيد منها، وتنتفع بها في الوقت الذي لا تدري ولا تعرف ولا تدرك.

ويوماً إثر يوم يكتشف البشر بما خولهم الله من قدرات وطاقات واكتشافات علمية، يكتشفون أشياء كثيرة في هذا العالم، ينتفعون بها، وأحياناً يكتشفون مقدار المنفعة في نعمة معينة حتى على مستوى غذائنا، نأكل رغيف الخبز ندرك كمعلومة أولية أن هذا يفيدنا لقوام حياتنا، يسدنا جوعنا، يلبي احتياجاتنا الجسدية، يوفر لنا طاقة جسمية وقدرات جسمية، ويسد الجوع عندنا كحاجة غريزية.

لكن يأتي العلم الحديث ليكتشف كم أودع الله في حبة القمح من عناصر غذائية، من عجائب، من منافع لجسمك، ثم يأتي علماء التغذية، ويأتي الخبراء، وبعد دراسات واكتشافات ليقدموا لك قائمة طويلة عريضة من هذه المنافع.

هل كل هذا بلا هدف؟

فإذاً فيما أودع الله لنا في هذا العالم من منافع عجيبة، ومن قدرات، وإمكانات وعطايا ومواهب ومنافع، أمور لا نقدر

على إحصائها، عبثاً؟! لا لشيء؟! لكي تتصرف كما يحلو لك؟! لكي تتحرك في هذه الحياة بدون أي مسؤولية؟!. لا؛ لكانت المسألة تمس بحكمة الله ولهذا يقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ تعالى الله الملك الحق.

لا يليق به أن يخلقك ثم يميزك في خلقك، ميزك في خلقك كإنسان، هو القائل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أحسن تقويم، وأحسن خلقة، وأحسن تركيب هي خلقة الإنسان.

خلقَ الإنسان في أحسن تقويم، ثم جعله متميزاً عن سائر المخلوقات في سعة مجالات حياته، سعة شؤون حياته، ثم في البيان والإعراب. والقدرة على النطق والحديث والتعبير. والسعة في ذلك لتتسع مع اتساع شؤون حياته والمنافع له في هذا الكون.

هذا الكون هذه الأرض بكل ما فيها والسماوات بما سخر فيها لهذا الإنسان، وما أودع في هذا العالم ينتفع

بـه الإنسـان مما قـد أدرك ومما لم يدرك، مما قد لمسـه ومما لـم يلاحظه ولم يدركـه. ولم يصل إليه علمـه بعد، ليس عبثـاً، الله حاضـر على هذا الخلـق. وهذا الكـون، وهذا العالم، وهذا الإنسان، وهو حملك مسؤولية كبيرة. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَـالِ فَأَبَـيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْـفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَـا الْإِنْسَـانُ﴾ مسـؤولية كبيـرة بهـذا القـدر مـن المستوى.

الله خولك ومكنك لأن تكون مسؤولاً في هذه الحياة بما ليسـت السـماوات مسـؤولة عنه، ولا الأرض مسؤولة عنه، ولا الجبال مسؤولة عنه.

قـد تذهـب أنت كشـخص إلى جبـل معيـن، فكيف تكـون أنت عند هـذا الجبل؟ جزءاً صغيراً وكائناً بسـيطاً في أسـفل هذا الجبل، أو في أعلاه، أو وأنت تصعد فيه، قـد لا تسـاوي في وزنك صخرة واحـدة من صخور هذا الجبـل، أما على مسـتوى الأرض بكلهـا والجبال بكلها والسماوات بكلها فكيف؟.

ولكن الله منحك من المدارك، من الهبات، من القدرة النفسية الذهنية المعرفية، من الوسائل ما تكون به أقدر على المسؤولية، وما تكون به مسؤوليتك أكبر من الجبال بكلها، من الأرض بكلها في بحرها وبرها، من السماوات، مسؤول أُعطي مَلَكة المسؤولية، قدرة المسؤولية، مدارك هذه المسؤولية، كل الخصائص اللازمة لتحمل هذه المسؤولية.

والله حاضر شاهد رقيب عليك

الله حاضر شاهد رقيب عليك، ليس بغافل عنك أبداً. أحاطك على الدوام برقابته الدائمة عليك. كيف ستتصرف؟! كيف ستعمل؟! وأنت المخلوق العجيب في مخلوقاته والمخلوق الأكبر مسؤولية في هذا العالم بما سخر لك وفي طبيعة الاستخلاف لك.. أنت خليفته في هذه الأرض.. ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ كيف يغفل عنك؟؟.

يسخر لك ما في السماوات وما في الأرض، يعمل

لـك كل شـيء، يخلقك بهـذا الإبـداع وهـذا الإتقان ثم يغفـل عنـك ويتـركك.. لا.. أحاطـك برقابتـه الدائمة.. ولهـذا نتحدث على ضـوء بعض النصـوص القرآنية في هذا الموضوع.

يجـب أن تستشعـر أن اللّه لا يغفـل عنـك ولا لحظة واحدة

يجـب أن تستشـعر أن الله لا يغفـل عنـك ولا لحظـة واحـدة.. لا في ليـل ولا في نهار، ولا فـي أي واقع أنت فيـه، ولا في أي مكان أنت فيه، أنت في كل لحظة تحت رقابته الدائمة، يراك ويعلم بك ويسـمعك ولا يخفى عنه شيء من شأنك، ولا يشغله شيء عن ذلك ، تدبيره لكل شؤون السماوات والأرض، عمله الدائم جل شأنه، خلقه المتكـرر وما يقوم به وهـو الحي القيوم، تقديره لشـؤون السـماوات والأرض، عملـه الدائـم جـل شـأنه، خلقـه المتكرر وما يقوم به وهو الحي القيوم له ما في السماوات وما في الأرض.

لا يشغله شيء من ذلك عن إدارة هذا العالم، وهذا الكون بكله وبكل ما فيه. لا يشغله شيء من ذلك أبداً عن الرقابة الدائمة عليك، فهو يراك على الدوام، يعلم بك على الدوام، يسمعك دائماً وأبداً ورقابته كاملة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لا أنت ولا غيرك ولا كل ما في هذا العالم.

هو الذي يصورنا في الأرحام كيف يشاء

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ هو الذي كان يعلم بك وأنت في رحم أمك في تلك الظلمات في ذلك المكان الخفي، فصورك هناك، كان يراك وأنت هناك، ويراك وهو يصورك ولم تكن هناك مخفي عليه، ولا مختفياً عنه، أبداً، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ﴾ ويمنح كل كائن بشري الصورة التي يقرر له أن تكون صورة له. ويخرج الى هذه الحياة، له ملامحه، له شكله، له صورته التي يتميز بها عن كل البشر من حوله، عن كل الناس من حوله، وشخصيته المتميزة عن كل الناس من حوله.

الـذي صـورك وأنـت هناك مختفياً في ذلـك المكان الخفـي، وأعطـاك الصـورة التـي تميـزك عن غيـرك من البشـر، عـن كل الناس مـن حولك هو يـراك فيما بقي من حياتك.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ رقابة مباشـرة منه. ولا يخفى عليه حتى خيانـة اللحظـة التي لحظت بها بطرفـك، بعينك فنظرت بها نظرة الحرام، ونظرة الشهوة الحرام إلى حيث لا يحل لـك هو علم بك في تلك اللحظة يوم حدت بنظرك، يوم حدت بعينك، لم يخف عليه ذلك.

﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ومـا أنت تخفيـه في أعماق نفسك، وفي داخل قلبك وصدرك، وقد خفي عن الناس مـن حولك، قد تكون في مجلس وقـد تكون في مجمع وقد تكون حاضراً لدى الآخرين وكلهم يراك، سيعلمون ما تقول حينما تنطق ويسـمعونك، وسيدركون تصرفاتك إذا شاهدوها بأم أعينهم.

لكن قد تخفي في نفسك، وفي صدرك، وفي أعماق قلبك أشياء أخرى، كل منهم لا يدي ما وراء هذا القفص الصدري بعظمه ولحمه وجلده وما عليه، يغطي على الناس كل شيء لكن الله رقيب عليك في ذلك، ينفذ بعلمه ورؤيته وإدراكه جل شأنه إلى أعماق نفسك وخفايا نفسك، فهو واضح أمام الله وليس خفياً عليه أبداً.

ويعلم ما توسوس به أنفسنا

يقول جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ ونعلم ما توسوس به نفسه، في اللحظات التي أنت توسوس ونفسك فيها توسوس وتختلج في نفسك الإهامة بعمل السوء والتوجه والرغبة والميل نحو ما هو معصية لله سبحانه وتعالى، في تلك اللحظات التي لازالت فيها الإرادة تتحرك في أعماق نفسك نحو العمل؛ فالله يعلم بك قبل أن تعمل، وقبل أن تقول، وقبل أن تتكلم، وقبل أن تتصرف، هو يعلم ما يدور بخلدك، ما تهم به في نفسك، ما توسوس

به وتفكر فيه، ويعتمل فيك في داخل نفسك لتفعله قبل أن تفعله. فاحسب حساب الله في تلك اللحظات.

إذا أنت لوحدك، أو أنتِ أختي المؤمنة، وأنت تفكر وأنت توسوس وفي نفسك وفي خيالك تعتمل الأفكار والوساوس والرغبات نحو فعل معين أو تصرف معين احسب أو احسبي حساب الله إنه يعلم، إنه يرقب، إنه ليس غافلاً عنك في تلك اللحظة أو في تلك الحالة.

أيضاً فيما يحمله الإنسان من حقد بغير حق على آخرين، أو من محبة لباطل أو مبطلين، أو فيما يخفيه في نفسه - أيضاً - من إرادة وتوجهات سيئة، هناك عقائد سيئة قد يخفيها الانسان. سوء ظن مثلاً قد يخفيه الإنسان ويتشبث به الإنسان ويعتمد عليه الإنسان تجاه الآخرين، هناك أعمال نفسية، أعمال قلبية مستودعها خفايا النفس، وأعماق القلب. وفي داخل الوجدان والمشاعر. لا يراها الناس ولا يدركها الناس.

قد تمر بإنسان وقلبك ممتلئ حقداً عليه. قد تظهر له

بشاشة الوجه، وتخفي في نفسك الحقد الشديد عليه، وقد يكون حقداً بغير حق وبدون مسوغ لكن الله يعلم ما في قلبك من الحقد وما قد ينتج عن ذلك الحقد من تصرفات.

وهكذا أشياء نفسية، أشياء قلبية هي مخفية عن الناس لها تأثيرها في واقعك العملي وفي تصرفاتك وفي أعمالك وفي أقوالك لكن الله يعلمها ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ الله أقرب إليك حتى من حبل الوريد الذي في عنقك، هو قريب منك لدرجة أنه مطلع بشكل مباشر على الخفايا في نفسك، وعلى ما توسوس به، وما يدور به التفكير في نفسك من الداخل، فاحسب حساب الله، ولا تظن أنه غافل عنك.

وهو دائم الشهود والحضور على كل ما نعمل

هو يقول جل شأنه: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ على المستوى

الفردي، على المستوى الشخصي الله دائم الرقابة عليك، دائم الشهود والحضور عليك ولك، وفيما تعمل، وفيما تفكر، وفيما تتصرف، وكذلك على المستوى الجماعي ما تعمله أنت لوحدك وما تعمله مع الآخرين، وما يعمله الجميع الله شاهد على ذلك، غير غافل وغير غائب، لا، ليس غافلاً وليس غائباً.

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ أيَّ عمل مهما كان هذا العمل: قليلاً أو كثيراً، كبيراً أم صغيراً، وفي أي ظرف وفي أي مكان وفي أي واقع ولو كان مستوراً ولو كان داخل غرف مغلقة، ولو كان في قصور، أو في وديان، أو في أي مكان أي مكان.

﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ فالله حاضر على الدوام لا يغيب أبداً، لا يغيب نهائياً ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ لا يغيب عنه أبداً، ولا حتى مثقال الذرة، هو شاهد على كل مخلوقاته على الدوام، هي واضحة أمامه، في كل جزئية منها على المستوى العام، وفي كل الجزئيات والتفاصيل،

شـهوده شـهودُ دائـم، وعلمـه علـم دائـمُ، وهـو يراهـا ويسـمعها دائماً. لا ليل ولا ظلمة تستر منه، ولا جدار ولا حائـط يخفي عنه، ولا أي شـيء، ولا هناك قدرات، ولا يمكن [تعمل لك تمويه عن الباري سبحانه وتعالى].

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَـنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّـمَاءِ وَلَا أَصْغَـرَ مِنْ ذَلِـكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

وكله موثق وثابت

أيضـاً كلـهُ موثق، وعلـم ثابت ليس علـماً عارضاً إلى سـنة كـذا كذا ثم نسـي، لا، علم ثابت لا يفقـد لا يغيب، لا يُنسى أبداً.

فأولاً هذا الإجراء الله أحاطك كإنسـان برقابة مباشرةً منهُ جل شأنه.

ألا نسـتحي ونخجـل مـن الله وهـو المطلـع والرقيب علينا في كل ما نعمل؟!

وهنا ما أحوجنا كمسـلمين أن نرسخ في أنفسنا أولاً:

الحيـاء من الله، الحياء من الله. لاحظوا يا إخوة ولاحظن يا أخوات مثلاً: الإنسـان في قيمته المعنوية قد يتحرج من الناس بحسـب اعتبـارات معينـة، مثلاً: إذا هناك إنسـان مهـم عندك، إنسـان تحترمه، إنسـان تُجلـه لمقامه، لكماله أو لقيمتـه المعنوية، لهُ شـأن، لـهُ اعتبار، قد تسـتحي منه، قـد تكون أكثر حرجاً مـن أن يطلع على بعض تصرفاتك السـيئة، أو تصرفاتـك المُسِـفَّة التـي تفقـدك قيمتـك واحترامك واعتبارك.

قد تسـتحي من ذلك الشخص، أو من جهة معينة، أو طرف معين لأهميته، وقيمته وكماله، ومدى احترامك لهُ، كلما كنت تحترمهُ أكثر اسـتحييت أن يعرف منك خفاياك أو تصرفاتك السيئة أكثر.

أيضـاً بحسـب المخاوف، الإنسـان قد يخـاف من أن يطلع من يمكن أن يحاسـبهُ على ذلك التصرف لأنهُ مثلاً يعلـم أنه إن أطلع عاقبهُ، ويقدر على أن يعاقبهُ على ذلك فقد يكون هذا دافعاً لهُ إلى أن ينتبه لتصرفه.

نحن بحساب الحياء من ربنا العظيم الله ملك السماوات والأرض بكماله وجلاله وعظمته، كماله العظيم إذا أنت قد تستحي من شخصية معينة لأنهُ مثلاً شخصية علمية، باعتباره عالماً كبيراً، أما هذا فهُو الله العليم بكل شيء، من لا يمكن أن تدخل في أي مقارنات في الحديث عن علمه المحيط بكل شيء، أي علم لدى الآخرين لا يساوي شيئاً. في أي شيء، أو في قدرته، أو في ملكه، في كل ما يعبر عن الكمال والجلال والعظمة والأهمية والاعتبار المعنوي.

الله جل شأنه، ألا نستحي منه! ألا نخجل منه! وهو المطلع والرقيب علينا في كل ما نعمل، وفي كل تصرف، وفي كل اللحظات، وفي كل الأوقات، وفي كل الأماكن.

بحساب نعمه ورعايته. هو المنعم علينا في كل النعم من لحظة خلقنا. ومن قبل ما يخلقنا، نعمه كانت قائمة في هذا الوجود الذي هيأه لك قبل أن يأتي بك إليه، أنعم عليك حتى قبل الوجود بما هيأ لك في هذا الوجود، وهيأ الشيء العظيم. وأنعم النعم العظيمة الكبيرة الشاملة.

هذا المنعم الكريم الرحيم العظيم الذي وهبك الحياة، الذي كل النعم منه. كل ما بك من نعمة، وكل ما وصل إليك في هذا العالم من خير، وكل ما يصل إليك في كل لحظة إنما هو منه، ولو حتى وصل عبر آخرين إنما هو منه ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾.

ثم هو هو الذي أنت دائماً كلما نابتك شدة، وكلما طالك كرب، وكلما تعرضت لأخطار، وكلما ضغطت عليك ضغوط هذه الحياة ومحنها وأوجاعها هو وحده الذي ترى فيه الملاذ الذي تلوذ به، الذي تلتجئ إليه، الذي تضرع إليه: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾.

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ كل ما أنت متقلب به في هذه الحياة من نعم، من واقعك الشخصي إلى كل ما في هذا الوجود حتى من الشمس، وحتى من النجوم والقمر، وحتى من خيرات الأرض، مما في السماوات ومما في الأرض، وحتى ما تنعم به شخصياً، كل الخير الواصل في هذا العالم إليك، وما في جسدك من سمع

وبصـر ونعـم، كل هـذا الخير هـو منه ﴿وَمَـا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾.

ثم كذلك عند المحن، عند الآلام، عند الأوجاع، عند التحديـات، عند الأخطـار، عند الهموم، إلـى من تلجأ؟ إليـه: يـا الله، إذا أنت مرضت وأحسسـت بالأوجاع التي تهـدد حياتك تضرع إليـه، إذا ضغطك الفقـر والعناء في هذه الحياة تضرع إليه، إذا انتابتك المخاوف والتهديدات تضـرع إليه، تلجأ إليه، لماذا تسـيء إليه؟ لماذا لا تسـتحي منه؟ لماذا تتجرأ على معصيته، أو التجاهل له؟

قـد تفكـر بالآخريـن، قـد تحسـب للآخريـن ألـف حسـاب، وتحرص علـى ألا يطلعوا منك علـى كثير من التصرفـات، ومن هم؟! من هم هؤلاء الذين أنت تتحرج وتنتبه وكيف لا يعرفون بما عملت أو تصرفت أو أخطأت أو تجـاوزت، تبالـغ في التحـرج منهم وفـي التخفي فيما قـد تتجـاوز به أو تسـيء به عنهـم ومنهـم، ثم لا تحسـب حساب الله! ثم تستهتر بالله! ثم لا تبالي بالله! وأنت ذلك

المخلوق السخيف الذي بالى بالآخرين، وحسب حساب الآخرين، إلا الله لم تحسب حسابه! ما أسوأك، ما أحقرك، ما أكثر تنكرك لنعمه، لكماله، لعظمته، لرعايته.

وستأتي إذا انتابتك الأوجاع، وكأنك لم تسئ إليه أبداً، حتى بدون استذكار لما قد أسأت به في الماضي إليه، تأتي وكأنك ذلك الذي لم يسئ قط، فتقول: يا الله اعمل لي كذا، وافعل لي كذا، يا الله اشفني، يا الله ارزقني، يا الله أعني، يا الله ادفع عني، يا الله منَّ عليَّ، يا الله اعطني.

وقد تزعل، قد تغضب، قد تستاء لأنه لم يعجل لك بالاستجابة، وكأنك ذلك الذي لم يسئ قط إلى الله، وليس كأنك ذلك قليل الحياء، كثير التجاهل لله، كثير الغفلة عن الله، كثير اللامبالاة أو تكاد تكون دائم اللامبالاة بحق الله سبحانه وتعالى فتحسب حساب الله.

الذي يفرضه علينا إيماننا أن نحسب حساب الله

هذا الذي يفرضه علينا إيماننا أن نحسب حسابه، حساب الحياء منه، الحياء منه في كماله وعظمته وجلاله،

والحياء منه كمنعم كريم، كل الخير وصل إلينا منه، وكل ما بنا من نعمة فمنه، وإليه نلجأ، وإليه نعود، وإليه نضرع عند كل النوائب والشدائد، وعند كل الكروب والمحن، وفي كل الاحتياجات، احتياجاتك منه.

واحسب حساب هذه المسألة، كل احتياجاتك منه، حياتك بيده، موتك بيده، رزقك بيده، مصيرك إليه، هو الذي يكتب لك، ويقدر لك ما شاء وأراد في هذه الحياة، أنت تتقلب في هذا الوجود في قبضته وتحت سيطرته وتحت سلطانه، لماذا لا تحسب هذا الحساب؟ كيف تغفل عن هذه المسألة مع كل ما لها من الأهمية والاعتبار؟.

ومع رقابته المباشرة عليك هناك رقابة من الملائكة

ثم مع ذلك، مع رقابته المباشرة والدائمة التي تنفذ إلى واقعك بكله وإلى خفايا نفسك، وإلى داخل صدرك، أَرْفق إجراءات كثيرة رقابية، رقابة ملائكته أيضاً.

وهذه من الأشياء التي ينساها الكثير من الناس نسياناً تاماً، ويغفلون عنها غفلة عجيبة، ما من إنسان منا في هذه الحياة إلا وقد أوكل الله جل شأنه به ملائكة من ملائكته، يبقون معه على الدوام، ويراقبون كل تصرفاته على الدوام، ليكونوا أيضاً هم شهوداً عليه، وليوثقوا (عملية توثيقية) لكل تصرفاته، لكل أعماله، لكل أقواله، كلها موثقة، إجراءات توثيقية.

كل إنسان منا محاط، ليس فقط ذلك الذي يظهر أمام الميكرفونات، ليقيم مثلاً مؤتمراً صحفياً، فالكل يوثق، هناك عدد كبير من الكاميرات التي تصوره والميكرفونات التي تنقل صوته ليوثقوا موقفه الذي سيعلنه أمام العالم، لا، كل إنسان هو في مؤتمر صحفي منعقد على طول، طول حياته، منذ بداية التكليف والمسؤولية.

منذ أن تدخل مرحلة التكليف، أصبحت في حالة رصد دائم، أحاطك الله بملائكة موكلين بك، مهمتهم الدائمة طول وجودك. وما دمت في موقع المسؤولية توثيق كل تصرفاتك وأعمالك.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أنا الآن أتحدث معكم، عن يميني وعن شمالي ملكان موكلان بي، كل منهما حتى في هذه اللحظة يؤدي دوره في توثيق ما أقول، كل منا أين ما كان في أي مكان، وفي أي لحظة. وفي أي ظرف هو، عن اليمين وعن الشمال قعيد، ملازم على طول، لا يفارقك نهائياً، ولا يغيب عنك لحظة، ومهمته هي هذه: مهمة التوثيق الدقيق والرصد الشديد، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾، تخيل إلى هذه الدرجة، ما تتكلم من كلمة واحدة ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

هذه الرقابة دائمة على كل لفظ تقوله وتتلفظ به وتنطق به، ليس هناك غفلة عنك، يمكن غفلوا عنك يوماً من الأيام. أو لحظة من اللحظات أو أمام كلمة أو جملة من الكلام قلتها فلم ينتبهوا لها بخصوص تلك الكلمة، ولا يحتاجون منك إلى أن تعيد الكلمة أو أن يستفسروا منك (ها يا أخي لم ننتبه، عفواً، ما هي الكلمة التي كنت قلتها؟ أعد من فضلك الجملة لنسجلها؟) لا، لا يفوت شيء

أبـداً ﴿مَا يَلْفِـظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْـهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أنت مرصود لهذه الدرجة، وأنت محاط بهذه الرقابة الشـديدة والمستمرة التي لا تنفك عنك، على طول، على طول.

يقـول الله جـل شـأنه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُـمْ لَحَافِظِـينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ عليكم حافظين، حفظـة، يحفظونكـم ويحفظـون مـا تعملونـه، يوثقونـه عليكم، عملية توثيقية، وليس فقط استذكاراً يستذكرونه. فـما حفظوه حُفظ وما غفلوا عنه نُسـي، لا، عملية توثيقية يقومون بها، كاتبين، وكراماً، لا يمكن أن يزايدوا عليك، لا أن ينقصـوا من عملك الصالح شـيئاً ولا أن يزيدوا في عملك السيئ شيئا، لا، بل يتعاملون بكل مسؤولية.

وليـس عندهـم أي اعتبـارات يمكن أن تؤثـر عليهم تأثيراً سـيئاً في عملهم، عمل بكل أمانة وبكل مسؤولية، وبـكل اهتـمام، ولا يمكـن أن يغفلـوا لأي اعتبـار مـن الاعتبـارات، مثـلاً: أكل وجبة دسـمة وغفـل ورقد، فلم يعـرف مـاذا عملت، لا، ولا شـغله النوم عنـك، ولا أي اعتبار من الاعتبارات الأخرى.

كل منهما يـؤدي الفترة التي عليه أن يؤديها بكل يقظة وبـكل انتبـاه وبـكل إدراك ﴿يَعْلَمُـونَ مَـا تَفْعَلُونَ﴾، يعلمون ما تفعلون، لا يغيب عنهم شيء، ولا يغفلون عن شيء فيؤدون مهمتهم على أتم ما يكون.

وتوثيقاً تاماً شـاملاً محيطـاً كاملاً لم ينقص منه قول واحـد، ولا تصرف واحد، إحاطة، تجميع، يجمعون كل عملك، كل تصرفاتك، كل أقوالك، كلها تجمع.

ويـوم القيامة يقـول الله: ﴿وَجَـاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ شهادة أيضاً، يؤدون شهادتهم عليك.

وتأتي هذه الرقابة. وهذا الرصد من الله ومن ملائكته، رقابة شـاملة، على المسـتوى الشـخصي، على المسـتوى الجماعي، على مستوى ما تعمل، وعلى مستوى ما تقول.

حتى المناجاة السرية كلها تحت الرقابة الالهية

مما ذكره الله سـبحانه وتعالى عن رقابته هو جل شـأنه قال جل شـأنه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّـمَاوَاتِ وَمَـا فِي الْأَرْضِ﴾ علـم شـامل، علم محيـط، كل ما في

الأرض، وكل ما يحدث على الأرض، وكل ما يجري على الأرض، تحت علمه، وضمن علمه، أحاط به علماً.

كذلك ما في السماوات بكلها ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الجلسات والاجتماعات، كلها هو حاضر فيها، والكثير لا يحسبون حسابه، يطمئنون أنهم أصبحوا لوحدهم؛ فيتحدثون بما يرغبون بالحديث به، وأنهم إما في مجلس مغلق أو في مكان منعزل. أو في ظروف خارج إطار الرقابة من الآخرين والمعرفة من الآخرين، أو اللقاءات الالكترونية في هذا الزمن عبر مواقع التواصل الاجتماعي، التراسل بالجوالات والتناجي بها، أو أي وسيلة من الوسائل المتاحة للبشرية من وسائل المناجاة والتواصل السري والتخابر الذي هو خارج إطار الآخرين وإدراك الآخرين.

هناك من هو حاضر في هذه المسألة بكلها، سواء أنتم في جلسة مغلقة: في داخل غرفة، في داخل مجلس، أو من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، جلسة الكترونية، جلسة في مواقع التواصل الاجتماعي، أو في الجوالات،

والرسـائل، أو أي وسيلة، أو (الواتس آب) أو أي وسيلة من الوسـائل هناك من هو شاهد على هذا بكله، احسبوا حسـابه، حاضـر في كل ذلـك، ﴿مَا يَكُـونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَـةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُـهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ﴾ أنتم اثنان، أو رجل وامرأة، شاب وشابة، أو شـابان. أو امرأتان أو أياً كان، أدنى من ذلك أو أكثر أو عدد أكبر، بـأي عدد كان ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾، أين ما كانوا، في أي مدينة، في أي قرية، في أي بلد. ومن أي مكان إلى أي مكان.

ليـس المعنـى أنـك إذا قمـت بالتواصـل عبر وسـائل التواصـل الاجتماعي إلى مـكان بعيد هو أدركك لكن لم يـدرك الذي هناك، لا، يعلم بالجميع، وأين ما كانوا وفي أي ظرف كانوا.

ولا تنتهـي المسـألة عند هـذا الاعتبار، عَلِم وحَسَـب ووثَّق، وأثبـت عليكم ذلك بشـهوده وملائكته والتوثيق وانتهت المسألة، لا، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ هنا الخطورة في المسـألة، أن كل هذه الإجراءات الرقابية

بـدءاً من الرقابة المباشـرة لله سـبحانه وتعالـى التي تصل إلـى ما توسـوس بـه نفسـك، وتختزنه في صـدرك، وفي أعـماق قلبـك ومشـاعرك، إلـى ملائكته الذيـن يرقبونك ويرصدونـك على الدوام، وخُصصوا لذلك، كل إنسـان معه ملائكـة مخصصين معه، إلى العمليـة التوثيقية التي توثق بها كل تصرفاتك.

وهـذه إجراءات مؤكدة، كاتبيـن، يؤكدها تأكيداً، كل هذه الإجراءات لماذا؟ لأنك يوم القيامة سـتأتي وستبعث من جديد، ثم ستسـأل وتحاسـب على كل ما قد أحصي عليـك، جمعـوا لـك كل هـذا، جمعـوا لـك كل تلـك التصرفـات كل تلك الأعمال، كل تلـك الأقوال، وُثِّقت، جُهز لك ملف كامل.

يـوم القيامة سـتأتي إلى مقام الحسـاب ستحاسـب، ثم يتحـدد مصيرك على ضوء ذلك وسـتجازى بناء على ذلك، فاحسـب حساب نفسك من الآن ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

العملية التوثيقية كيف ستعرض يوم القيامة؟

نأتـي إلـى العمليـة التوثيقية هـذه، العمليـة التوثيقية هذه كل إنسـان يجهز له ملف سـواء عبرنا عنه كتاباً، مثل مـا في آيـات أخرى كثيـرة، أو صحيفـة ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾، هـذا الكتاب وهـذا الملف بالتأكيـد أنه وثقت فيه كل أعمالك وتصرفاتك، وبشـكل دقيق وتام، وعملية توثيقية قد تكون أشـبه ما تكون بعملية الفيديو، الصوت والصورة.

هنـاك مـن الآيات مـا يـدل على ذلـك، الله سـبحانه وتعالـى قال فـي سـورة النجـم: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ سوف يرى.

يعنـي يـوم القيامـة لا تحتـاج المسـألة إلى أنـك تقرأ العبـارات: (وفعـل يـوم كـذا كـذا، وتصرف كـذا، وفي لحظة كذا اتجه إلى كذا...) مجبر طويل عريض، قد ترى نفسـك بالصوت والصورة، تشـاهد نفسـك وأنت تعمل

ذلك العمل المخزي الذي حرصت على أن يكون في جو مكتوم ومستور.

وقد تفضح بذلك أمام الملأ وأمام الناس، أمام مشهد البشرية بكلها، من أنبياء ومرسلين وصديقين وصالحين وطالحين ومؤمنين وكافرين. وأمام الجميع، ما الذي عملت، وتخزى على نفسك.

كيفية تسليم الكتب يوم القيامة

يأتي الإنسان يوم القيامة ومن أهم محطات يوم القيامة. ومشاهد يوم القيامة هي اللحظة التي سيستلم الإنسان فيها ملفه (كتابه) الذي وثقت فيه جميع أعماله، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عن يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾، فما من أحد يستطيع أن يختفي، مع كثرة الجمع، ولا يمكن أن يخفي شيئاً - أيضاً - مها قد عمل ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾.

عند عملية توزيع الكتب والصحف والملفات هذه،

الإنسان [كعلامة] إما أن يتناول هذا الكتاب ويُعطى هذا الكتاب بيمينه، يعطيه الملائكة: تفضل استلمه بيمينك، ويمد يمينه ليستلم هذا الملف، وإما أن يُعطى هذا الكتاب بشماله ومن وراء ظهره أيضاً.

إما أن يأتي من يتولى هذه المهمة يوم القيامة من ملائكة الله ليعطيك كتابك وصحيفة عملك من أمامك، يأتي إليك ويقبل إليك من أمامك، فيعطيك وتتناول باليمين، وإما أن يأتي إليك من خلفك، من وراء ظهرك، وعلى أن تتناوله بيدك الشمال.

علامة أن يعطى الإنسان كتابه بيمينه علامة إيجابية، جعلها الله علامة إيجابية، علامة اليُمن، علامة الخير، علامة الفوز، علامة البركة، وأن يأتيك هذا الموكل من الملائكة من أمامك؛ لأن لك من العمل ما يشرفك تلقى الله أبيض الوجه، وعندك من الأعمال المشرفة والمقبولة والصالحة: ﴿فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ تبتهج وترتاح.

لقد تضمن هذا الملف الأعمال الصالحة، الأعمال المشرفة، الأعمال التي ابتهجت بها، أدركت قيمتها، رأيت ثمرتها، وأعمال ليس فيها ما يخزيك ويشينك، لا، فابتهجت وارتحت وسعدت واستبشرت، وذهبت إلى الآخرين في ساحة الحشر، من الزملاء من الأصحاب من الناس: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ هاؤم تساوي عبارة: هالكم، تفضلوا، شوفوا كتابي، اطلعوا عليه، ما فيه من أعمال صالحة تبيض وجهي، أنا اليوم مبتهج بكل تلك الأعمال التي عملتها وفعلتها وقلتها وتصرفت بها.

وهذا كله لماذا؟ كيف توفقتُ لهذه الأعمال؟ كيف كان كتابي يحوي هذه الأعمال الشريفة العظيمة المشرفة؟ ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ لأني في الدنيا حسبت حساب أنني سأحاسب على كل ما عملت، ولأني حسبت هذا الحساب كنت مسؤولاً في تصرفاتي، ومنتبهاً فحرصت على أن أعمل الأعمال الصالحة والمسؤولة، وأن أتوب وأنيب وأقلع عن الأعمال السيئة.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾، فاز وكان مصيره ومآبه هذا المآب ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)﴾.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ ومن وراء ظهره في آية أخرى كذلك، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾.

هذا كيف سيكون موقفه؟ استاء، شاف كثيراً من الأعمال والمواقف السيئة، والحماقات والتصرفات الغبية واللامسؤولة، والمدنسة التي انجر إليها بهوى نفسه، وطمع نفسه، ورغبات نفسه، وشهوات نفسه، وغضبه وطيشه وتعامله اللامسؤول.

كيف سيقول؟ كيف سيتصرف؟ سيصيح، سيقول: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾، يصيح، يندم، يشعر بالهلاك. قال في آية أخرى: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾، يصيح واهلاكاه، اليوم هلاكي، اليوم ورطتي، أعمال سيئة، ليتني لم أطلع عليها، ليتني لم اقرأها ولم أدر بها ولم أعرف بها.

وأشـياء كثيرة قد نسـي الكثير منها؛ لأنه كان مستهتراً ولا مباليـاً، ولا يهتـم بأعمالـه وتصرفاته، ينسـى الكثير، ويغفل عن الكثير، ولا ينتبه للكثير ولا يسـائل نفسـه في الدنيا ويحاسب نفسـه ليخلص نفسه هنا، ليخلص نفسه فيتوب وينيب ويقلع، لا، ورّط نفسـه، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَـتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْـفِقِينَ مِمَّـا فِيـهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَـا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾.

يصيحـون مـن هـذه المسـألة، يصيحـون مـن الدقـة العجيبـة والإحاطـة الكاملـة بكل مـا قد عملـوا، يصيح الإنسـان، حتـى أشـياء - يسـتغرب - كان يتهـاون بهـا، كان لا يحسـب حسـابها، كان يعتبرها أشياء عادية، أو لا يبالي بالآخرين، جريء بها يعملها بكل جرأة وإذا بها قد حسبت وسيحاسب عليها ويجازى عليها، ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِـيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾، ﴿فَمَنْ يَعْمَـلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، مسألة مهمة.

هناك أيضاً عمليات توثيقية أخرى

مـع هذه العمليـة التوثيقيـة، مع شـهادة الملائكة، مع شـهادة الشـهود من البشـر، هنـاك عملية توثيقيـة عجيبة أخرى، الإنسـان: أعضاؤه، جوارحه ستشـهد عليه، كأن الله ضِمـن خلقها جعـل فيها عمليـة توثيقيـة، جعل فيها قـدرة توثيقية، آلية معينـة للتوثيق، فأنت في الوقت الذي تعمل مـا تعمل، يتوثق من حين ما تعمـل، مثلاً: بصرك، ألا نشـوف اليوم الكاميـرات، الكاميرات يمكن أن تنظر منهـا فترى في الوقـت الذي هي فيه آلـة رؤية، يمكن أن تعمـل فيهـا تسـجيل، أن تجعلها فـي حالة تسـجيل، قد تكـون أبصارنا هذه في الوقت الـذي نرى بها هناك أيضاً عملية تسـجيل لما نـراه، عملية تسـجيل لرؤيتنا، لإدراكنا لما نراه وندركه وما ننظر فيه. سـمعنا كذلك، عملية سـمع وعمليـة تسـجيل، بقيـة جوارحنـا وأعضائنا فيهـا عملية توثيق.

الله جـل شـأنه بعـد الحسـاب عبـر الصحـف وعبـر

الملائكـة وعبر الشـهود من البشـر يبقى الإنسـان يجادل لأن المسـألة خطيـرة جـداً أمامه جهنـم، أمامه الخسـارة الأبديـة والرهيبة والعذاب الشـديد وخائف جدا، خوف ورعب شـديد، ﴿إِذِ الْقُلُـوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ من شـدة خوفهم تطلع قلوبهم إلى الحناجر، يصل قلبك حنجرتـك مـن شـدة الخـوف، إذا الإنسـان غيـر موفـق والعيـاذ بـالله، فيبقى يجـادل ويتشـبث بجدالـه وإنكاره وجحـوده ومكابرتـه حتـى مرحلـة معينة تبـدأ أعضاؤك بالشـهادة عليك، فتشـهد أنت على نفسـك، فلا يمكنك حينها المكابرة ولا الجدال.

﴿الْيَـوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾، أنـت مع ذلك الجدال والهذرفـة والمناكـرة، ﴿يـوم تأتي كل نفـس تجادل عن نفسـها﴾، بعدها يختـم على فمـك وتمنع مـن الكلام، ولا تسـتطيع النطق، اسكت اسـمع، هناك شهود عليك، مَن؟ مَن هذه المرة؟ ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾، تبدأ يداك بالتكلم وتؤدي شـهادتها عليك، قد تقـول أنـا ما عملت كذا، ولـم أفعل كـذا، ووالله لم ألمس

كـذا، ولم أقرب كـذا ولم أفعل كذا، فتشـهد عليك يداك بما عملـت بهما وتصرفت بهما من تصرف وأصابعك، من كل مـا حصل من تصرفات عبر هذه الجوارح، ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ ثم الرجلان تشـهدان كل منهما تؤدي شهادتها بما عملت بهما، ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

يقول الله سـبحانه وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾، حتى الجلد ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ويندهش الإنسـان. يندهش باتت جوارحه تشـهد عليه، ورأى الأدلة والشـواهد من نفسـه على نفسـه ومـن جسـده على نفسـه ومـن جوارحه بما عملت، يحتار، يندهش، يصاب بالذهول، يستغرب، بل يدخل في خصام مع نفسـه، ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ﴾، قالوا لجلودهـم، يتخاصم مع جلده، تصل إلـى هذه الدرجة، ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾، كيف يا جلدي تشهد علي؟!

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ يجيبك جلدك، تجيبهم جلودهم، قَالُوا. الجلود نطقت وأجابت

وردت عليهم وخاصمتهم: ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

والذي يمنح كل شيء: القدرة على النطق، فينطق حين منحه القدرة على أن ينطق ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ هو الذي خلقكم وأنطقكم. أنطَقَنا نفس الشيء، مثل ما منحكم القدرة على النطق، منحنا كجلود القدرة على النطق ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

أمور ما كان الإنسان يحسب حسابها، لا يحسب حساب أن يشهد عليه سمعه ولا أن يشهد عليه بصره، ولا أن يشهد عليه جلده ويخاصمه جلده ويثبت عليه الإدانات. جلده ما كان يحسب حساب هذه الأمور؛ لأنه لم يكن يحسب حساب ما هو أهم منها، والذي هو رقابة الله.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ ما كنت تستتر من سمعك لا يشهد عليك، وأين ستستتر من سمعك؟ ﴿وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾، ما كنت تستتر من جلدك، وتتركه هناك

وتختفي عنه هناك لتفعل ما تريد أن تفعل، وهل سيمكن ذلك؟! لكن هناك ما هو أقرب من ذلك وأشد رقابة من ذلك: ﴿وَلَكِن ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

هذه الآفة، الغفلة عن رقابة الله، اللامبالاة بالله، التجاهل لله، النسيان لله، ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾، أهلككم: وصلتم إلى الهلاك في الحياة لم تكونوا مبالين بل مستهترين، ما رغب به وعنده قدرة أن يعمله عمله، ما رغب به من تصرف وامتلك القدرة عليه فعله، لا يبالي، لا يستحي، لا يحسب حساب الله.

وإذا حسب حسابات معينة، حاول أن يتداركها هي وأن يعمل احتياطاته تجاهها ويكتفي بذلك ثم لا يحسب حساب الله، ﴿أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الخسران الرهيب ﴿فَإِن يَصْبِرُوا﴾ وصلوا إلى جهنم ليحترقوا في نار الله أبد الأبد.

لو كانت المسألة أنك ستدخل في فرن، فرن - فقط - لإنضاج الخبز لكانت كارثة، أما جهنم بكلها فما بالك؟! ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا﴾ تريد أن تصبر ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ ما هناك من قدرة على الصبر، عذاب شديد لا قدرة على الصبر عليه، ولا ينفعك الصبر فيه، ولا الصراخ كذلك، العذاب والألم الدائم.

فرصتنا هي اليوم للنجاة من عذاب الله

﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ إذا حاولوا أن يتوبوا، أن ينيبوا، وأن يرجعوا إلى الله، فاتت الفرصة.

فرصتنا هي اليوم، اليوم فرصتنا، الإنسان بالتسويف والغفلة واللامبالاة، والاستهتار والإهمال وسكر الهوى، وسكر الملذات والغفلة، والتبلد، لا ينفعه ذلك، هذه الكارثة على الإنسان.

اليوم في هذه الحياة، الآن فرصتنا لأن يحاسب الإنسان نفسه وأن يراجع حساباته، أن ينيب إلى الله، أن يرسخ في وجدانه: الرقابة الإلهية، في إيمانه: الشهود

الإلهي والحضور الإلهي، إن الله رقيب عليك ويعلم بك.

ثم أنت دائماً محاطاً بهذه الرقابة، الملائكة معك، أين ما ذهبت وأين ما اتجهت لا يمكن أن تطردهم من حولك ولا أن تغلق في وجههم الأبواب وتدخل لوحدك، حاضرون معك أين ما أنت، يوثقون ما تفعل، ثم هذا التوثيق المركب فيك في خلقك، ويوم القيامة ينطق حتى جلدك.

إذاً يجب أن نحسب حسابنا في هذه الحياة لنتعامل بمسؤولية؛ فنحرص على العمل بمسؤولية، والتكلم بمسؤولية، والتصرف بمسؤولية، والقيام بمسؤولياتنا في هذه الحياة، والانتباه في هذه الحياة، والحذر من الغفلة في هذه الحياة، والإنابة حين الزلل وتدارك ما زلّ فيه الإنسان.

نسأل الله أن يوفقنا، وإياكم لما فيه رضاه، وأن يغفر لنا ويعفو عنا إنه سميع الدعاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. [من محاضرة السيد عبد الملك في شهر رمضان (الرقابة الإلهية) ١٤٣٨هـ]

المحتويات

الحرب الناعمة وخطورتها ٣
من ابتكر كل هذه الوسائل هم أعداؤنا لأهداف خبيثة ٦
أمريكا تستهدف هذا الشعب في أخلاقه وشرفه وعفته وطهارته ٧
طرق للوقاية من أخطار هذه الحرب ١١
أولاً: الإيمان بالله واليوم الآخر ١١
ثانياً: الاستعاذة بالله تعالى من همزات كل الشياطين ووساوسهم وتأثيراتهم ١٢
ثالثاً: الوعي بخطورة الشيطان والاستحضار لذلك في الذهن في كل الأحوال المهمة ٢٣
الذين اتقوا لا يعيشون حالة الغفلة.................. ٢٥
رابعاً: الحذر من الانجرار وراء خطوات الشيطان ٢٧
خامسًا: الأخذ بأسباب الرعاية والتوفيق الإلهي وعوامل الصلاح والزكاء ٢٩
سادسًا: الوعي بأن الله أغنانا عن الحرام ٣١
سابعاً: استشعار الرقابة الالهية ٣٣
من أهم ما يجب أن تعيه كإنسان أنك في هذه الحياة لست وحدك ٣٤
ولست ملك نفسك ووجودك وجود هادف ٣٦
سخر لك ما في السماوات والأرض ٣٩
هل كل هذا بلا هدف؟.............................. ٤١
والله حاضر شاهد رقيب عليك......................... ٤٤

يجب أن تستشعر أن الله لا يغفل عنك ولا لحظة واحدة ٤٥

هو الذي يصورنا في الأرحام كيف يشاء ٤٦

ويعلم ما توسوس به أنفسنا ٤٨

وهو دائم الشهود والحضور على كل ما نعمل ٥٠

وكله موثق وثابت ٥٢

الذي يفرضه علينا إيماننا أن نحسب حساب الله ٥٧

ومع رقابته المباشرة عليك هناك رقابة من الملائكة ٥٨

حتى المناجاة السرية كلها تحت الرقابة الالهية ٦٢

العملية التوثيقية كيف ستعرض يوم القيامة؟...... ٦٦

كيفية تسليم الكتب يوم القيامة ٦٧

هناك أيضاً عمليات توثيقية أخرى.................. ٧٢

فرصتنا هي اليوم للنجاة من عذاب الله ٧٧